فن التعامل مع النفس

ملخص

المحاضرة السابعة

شرح الشيخ م. علاء حامد

فريق التفريغات

ملخص الدرس السابع

حـطـم صـنـم نـفـسـك العُـجـب الجزء ١

~ مقدمة~

ما زلنا في طريق إصلاح النفس و التعرف عليها ومعرفة هذه الآفات التى تكون فى النفس لأن معرفة أو إصلاح الشئ ناتج عن معرفته، نتحدث اليوم عن مرض خطير للغاية وهو مرض كامن فى النفس وما فى أحد منا إلا عنده هذا المرض ولكن الموفق من وفقه الله تعالى للتعامل مع هذا المرض .

مـــرض الـــعُـــجـــب

♦♦ **العُجب/**هو أن ترى أن لك عملًا عظيمًا وأنك سببًا فيه وتنسى فضل الله عليك والعجب ليس فى قضية العبادة فقط وإنما فى كل شيء وفى أى نعمة أنعمها الله عزوجل عليك ومن شدة خطورة هذا المرض أنه يمحو العمل الطيب وإذا جاء هذا المرض فى عمل من الأعمال فإنه يستشرف باقي الأعمال لذلك يجب على الإنسان أن يعالج هذا المرض حتى وإن كان لديه هذا المرض فى أمور دنيوية .

♦♦ العجب يبدأ بخواطر عابرة فى النفس والتساهل مع هذه الخواطر يجعل المرض يستحفل فى الإنسان إلى أن تزداد الخواطر إلى إرادات وأفكار وعزيمة وأفعال ثم يكبر ويصير داء متأصل فيه يصعب استئصاله فينبغي أن تعلم أن التعامل مع الخواطر أفضل بكثير من التعامل مع المرض نفسه .

♦♦ لنا فى قصة إبليس عبرة فكان العجب كامن بداخله ومتأصل فيه إلى أن تعرض لموقف أظهر ذلك العجب الذى بداخله والتكبر الذى كان لدى إبليس إنما هو تطور للعجب الذى أصابه وابُتلى إبليس لأنه أهمل علاج العجب .

♦♦ من تعامل الصحابة رضى الله عنهم مع العجب ما جاء فى قصة عائشة رضى الله عنها انها اشترت ثوباً فلبسته وكانت عند أبيها أبو بكر رضى الله عنه فلما لبسته وأعجبتها نفسها فقال لها أبو بكر إلى ماذا تنظرين؟ تنظرين إلى نفسك وتعجبين بنفسك قالت وما ذاك؟ قال لها أما تعلمين أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته الله عزوجل حتى يفارق تلك الزينة فخلعت الثوب وتصدقت به فقال لها لعل ذلك يكفر عنك يا عائشة فكان تعاملهم حازم جدا مع هذه القضية .

مـــظـــاهـــر الـــمـــرض :

1 تجد نفسك لا تقبل المعارضة ومعجب برأيك:

♦♦ تجد فى الجدال أن رأيك دائماً هو الصواب وإذا أحسست أن الذى أمامك على صواب مازلت تدافع عن نفسك .

2 تجد نفسك لا تقبل النصيحة ولا النقد:

♦♦ وتجد ذلك الموضوع شاق جدا عليك فتجد صعوبة إذا نصحك أحد أو أخبرك بنقص لديك .

3 أن تشعر أنه يجب على الناس أن تعطيك قدرك :

♦♦ وكأن نفسك تقول كيف لا يقدرونني؟ ولو وجدت من الناس غير التقدير تحزن للغاية وتغضب لو عاملك الناس معاملة الشخص العادى وترى أنك مختلف عن الناس .

4 ترى نفسك أهلاً للنعم :

♦♦ يظهر ذلك عندما ترى نعم معينة على بعض الناس فتقول فى نفسك أنا أولى منه بذلك ؟

5 أنك تجد فى نفسك رغبة فى ذكر عيوب الآخرين :

♦♦ وإذا سمعت مدحاً لغيرك تجد فى نفسك شيء خصوصاً إذا كان هذا الشخص فى نفسك تخصصك .

6 يشق عليك الاختلاط بمن هو دونه :

♦♦ فلا يقبل أن يصاحب أحد أقل منه فدائماً ما يختار الأعلى .

7 تجد فى نفسك عجب أن تعتذر :

♦♦ فلا تقبل أن تعتذر لغيرك اعتقاداً منك بأنك بذلك تقلل نفسك فلا يقبل الاعتذار حتى لو أخطأ .

8 قلة الدعاء :

♦♦ تجد أنك قليل الدعاء لأن المعجب يرى أنه مستحق للنعم فلا يوجد عنده فقر إلى الله وإذا دعا يطلب بأنه مستحق ليس فقيراً ومسكيناً .

أسـبـاب الـعُـجـب :

1 الـجـهـل بالله :

♦♦ لابد وأن يكون جاهلاً بقدر الله تعالى لأنه كلما عرف الله كان أشد تواضعاً لله وأشد فقراً لله لأنه من عرف الله عرف أنه الملك وهو الذى أعطى ومنع ووفق وهدى ولولا إمداده ما كان شيء لذلك من عرف الله لم يعجب بعمل خصوصاً عندما يقرأ عن الأنبياء وهم من هم قال الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ لذلك كان الجهل بالله أكبر أسباب العجب .

2 الـجـهـل بالـنـفـس :

♦♦ كلما يجهل الإنسان بقدر نفسه سيجد فى نفسه العجب فلو أن الإنسان عاد إلى الوراء لا يجد أنه يستحق شيء قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ وما كان الله ملزماً بذلك فكان من الممكن أن تولد أصم أو أعمى أو بثقب فى القلب أو بشلل فى أجزاء جسمك من يضمن لك أن تكون سليماً؟

3 الإهـمـال فـى تـزكـيـة الـنـفـس :

♦♦ وهو عندما تأتيك خواطر العجب فتهملها ولا تعالجها فيتأصل فيك الداء فذلك سبب من أسباب العجب.

4 كـثـرة الـنـجـاح :

♦♦ فالإنسان عندما يكون موفق وناجح فيبدأ يشعر بالعجب بنفسه لذلك كثرة النجاح من أسباب العجب.

5 قلة مخالطة الصالحين :

♦♦ لذلك من العلاج أن تخالط الأكفاء وتطلب النصيحة ممن هم أعلى منك وفوقك .

6 التربية الخاطئة من الوالدين :

♦♦ الآباء قد يكونون سبباً فى ذلك بشكل غير مباشر فعندما يمدحون الابن بشكل مفرط ولا يحاسبونه على أخطائه بل يبررونها ويقللوا من غيره أمامه فسوف يكبر هذا الابن وبداخله عجب بسبب سوء التربية.

خـطــورة الـعُــجــب :

1 سبب فى أن يُحبط العمل :

♦♦ فكأن الإنسان يعمل عمل ثم يرميه فى البحر .

♦♦ قال يحي بن معاذ رحمه الله إياك والعجب فإن العجب مهلكة لأهله وإن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

♦♦ عن جندب بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك رواه مسلم .

2 العُجب سبب مقت الله :

♦♦ لا يوجد سبب أكبر من الكبر عند الله وهو سبب مقت الله .

♦♦ قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من رجلٍ يتعاظمُ في نفسِه ، و يختالُ في مِشْيَتِه ، إلا لقيَ اللهَ و هو عليه غضبانٌ .

لذلك تجد أن الله لا يوفقه ويكله إلى نفسه وإذا وكلك لنفسك فاعلم أن كل شيء انتهى لأنها لا تتم إلا بالله .

3 يؤدى إلى سوء الخاتمة:

♦♦ مثل قصة إبليس وأي خاتمة أشد من ذلك ؟! كما أن المعجب يجب أن يحذر على نفسه أن يكون لديه كبر ويستدرجه الله حتى موته فيظهر عليه المرض فيموت عليه .

♦♦ قال النبى صلى الله عليه وسلم إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها .

عــلاج الــعُــجــب :

1 مــعــرفــة الله :

♦♦ أن يتعرف على الله معرفة حقيقية ويطلب منه العلاج فعلى قدر فهمك لخطورة المرض سيكون فارقاً معك فى العلاج ومعرفة التعامل مع المرض أشد صعوبة لأن المريض هو الذى سيعالج نفسه لذلك يجب أن تلجأ إلى الله بمن يملك ذلك ويجب أن تكون صادقاً مع الله طلبك للعلاج .

2 الإلــحــاح فــى الــعلاج :

♦♦ الإمداد يكون على قدر الاستعداد بمعنى أنه كلما تطلب من الله أكثر كلما تكون المعونة أكثر ويعطيك أكثر فاللجوء إلى الله تعالى فى العلاج فالله عزوجل هو الذى يملك أن ينجيك .

3 أن يعرف الإنسان ربه بأسمائه وصفاته :

♦♦ الــغــنــى :

فهو سبحانه لا يحتاج إليك وهو غنى عنك وعن عبادتك فسبحانه إذا لم تعبده أنت فهناك الكثير يعبده فهو لا يحتاج إليك ولا تؤثر فيه قال الله تعالى ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾

♦♦ **الــقــيــوم :**

وهو القائم بشؤون عباده فلا أحد يقدر على فعل أى شيء إلا بإذنه فسبحانه هو الذى أضحك وأبكى وأمات وأحيا فلو تركك للحظة واحدة تموت ولو أغلق عليك باب المدد لانتهى كل شيء فإذا عرف الإنسان ربه بصفة القيومية أورثه ذلك تمام التوكل والانكسار .

♦♦ **الــمُــنــعم :**

عملك كم يساوى بجانب نعمة واحدة فقط من نعم الله عليك؟ وما جاء فى الأثر أن رجلاً قام إلى صلاته فتمنى من ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجدا وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلا حتى يبعثه وهو ساجد ففعل. فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا فنجده في العلم يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول له الرب: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي. فيقول: رب بعملي، فيقول: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: بل بعملي. فيقول الله لملائكته: قايسوا بنعمتي عليه وبعمله، فيوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادته خمسمائة سنة، وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه، فيقول: أدخلوا عبدي النار. قال: فيجر إلى النار فينادي رب برحمتكم أدخلني الجنة .

طـرق عــلاج الله لك من العُجب:

1 أن يبتليك الله بذنب :

خصوصاً إذا لم تفعله لفترة طويلة فالحكمة من هذا الذنب أن العبد يظل متوقف عن الذنب فترة كبيرة وفى بادئ الأمر يعلم أنه تثبيت من الله ثم مع طول المدة يدخله عجب فيربيه الله بهذا الذنب وقال جعفر رضى الله عنه الذنب أرحم للمؤمن من العجب .

2 رسالة الحرمان من الطاعة :

فعندما تبدأ تنسب الطاعة لنفسك فيحرمك الله منها ويحرمك التوفيق ويبتليك بالفتور لكى تعود وترجع له.

3 يعرضك لمن هم أفضل منك :

ولنا فى قصة سيدنا موسى عندما أراد الله أن يعلمه فذهب للخضر وكان متواضعاً معه وتعلم منه .

4 أن يجعل ذكرك خاملاً بين الناس :

بمعنى أن يكون فى عملك مجهود كبير تستحق منه الشهرة ولكن يجعل لك ذكراً خاملاً بين الناس فيقدر الله عليك أن لا يعرفك أحد لأنهم إذا عرفوك لدخل فى قلبك العجب وتحطم عملك العظيم .